

المقدمة

ليس هناك في اللغة الإنكليزية حسب معرفتي أي مؤلف يقدم معلومات تفصيلية حديثة حول حضارة بابل وأشور ككل ولهذا فقد حاولتُ في هذا الكتاب التعويض عن هذا النقص موجهاً اهتمامنا إلى القارئ العادي وإلى الطلاب في آخر سنة دراسية لهم في مدارسهم أو في أول سنة جامعية لهم. هذا وليس لدينا أية معلومات سابقة عن هذا الموضوع الذي يستطيع أي قارئ لديه اهتمام بالمظاهر العريضة للتاريخ البشري امتلاكها غير المعلومات التوراتية.

ليس من الضروري الإشارة إلى أنه ينبغي حذف كثير من الاهتمامات الجانبية أو المرور بها مرور الكرام عند إيراد مقدمة لمثل هذا الموضوع الواسع المتصل بالأنشطة البشرية، وإذ إنني حاولت تأكيد بعض مظاهر هذا الموضوع عند اختيار موضعين كالمظاهر الاقتصادية والإدارية التي قلما تطرقت إلى ذكرها المؤلفات الماضية وقمت بحذف أو إهمال بعض القضايا التي سبق أن عولجت بشكل كافٍ. وهكذا فقد اختصرت بعض المواضيع ببضع صفحات عند معالجة فنون منطقة ما بين النهرين حيث نجد فيها معلومات نيرة حول هذا الموضوع في كتاب هـ. فرانكفورت H. Frankfort (الفنون وفن العمارة في أقطار الشرق القديمة) الذي صدر عام ١٩٥٤ وكما كان هذا الموضوع بحث لبعض المؤلفات المتأخرة. بينما حذفت بشكل كلي تلك التواريخ المبهرة الأسيرة للحفريات التي حدثت هناك نظراً لكثرة الكتب الممتازة التي عالجت هذا الموضوع ابتداءً من كتاب هـ. لايارد H. Layard (نينوى وآثارها) الذي صدر عام ١٨٤٩ وكتاب مالوين Mallowan (خمسة وعشرون عاماً في اكتشاف منطقة ما بين النهرين) الذي صدر عام ١٩٥٦.

ليس هناك مجال للاعتذار عن تخصيص فصلين طويلين من فصول هذا الكتاب الأربعة عشر لشرح الشؤون الدينية التي ربما اعتبرت مستهجنة لدى أبناء عصرنا العلماني. إذ إنني أعتقد أن هذه القضايا الدينية لا تزال تمثل نسبة قوامها أقل مما ينبغي بالنسبة لحياة العالم القديم. وكذلك فقد حذفت بعض المواضيع خوفاً من

زيادة حجم هذا الكتاب ولكني كنت أود وبكل سرور إبقائها وأخص بالذكر منها عدة مواضيع دينية، مثلاً طقوس الكفن وأفكارها بعد الموت ومشاكل الوجدانية المشوبة البدائية وهي تشمل عبادة إله واحد مع عدم وجوب إنكار وجود آلهة أخرى وكذلك تلك النزعة العلمانية التي ناقشها المؤلف صُودن W. Von Soden في مقالةٍ حديثة وكذلك بعض القضايا المختلفة كالأعمال الزراعية والتقنيات المعدنية وتكتيكات الجيوش الآشورية في ميادين القتال.

لا ينبغي أن ينخدع القارئ بوجود تلك الثقة الظاهرة التي قدمت بها بعض التواريخ الدقيقة بالنسبة لعدة نقاط ابتداءً من منتصف الألف الثالث ق.م فصاعداً. والحقيقة أن تواريخ منطقة ما بين النهرين لا تزال موضوعاً مثيراً للجدل. وبالنسبة للآلاف الثالث والثاني ق.م هناك ثلاثة أنظمة تاريخية رئيسية سائدة، فالتواريخ التي ذكرتها إنما تمثل محاولة لتوحيد الأنظمة التي بدأها الاستاذ سدني سميث Sidney Smith وأقتبسها بشكل جزئي م. ب. بوتون M. B. Powton على ضوء بحثٍ متأخر. وعلينا أن نؤكد أنه من المأمول أن تكون التواريخ المعطاة صحيحة نسبياً أي متناسقة بعضها مع بعض إلا أن هناك خطأ ممكناً في التواريخ المطلقة بواقع قدره قرن من الزمن بالنسبة لبداية الألف الثالث ولكن هذا الخطأ يبدأ بالتناقص ليصبح حوالي عشر سنوات عند نهاية الألف الثاني. أما معظم التواريخ بالنسبة للألف الأول فمن الممكن أن تصبح بواقع قدره سنة واحدة (وذلك كما سوف يذكر خلال هذا الكتاب).

كلمة توضيح لا بد من ذكرها حول ترجمة أسماء العَلَم فقد استخدمنا الأشكال الكلاسيكية والتوراتية السائدة والمتكررة. أما بالنسبة للحالات الأخرى فلكي نوفر على القارئ غير المختص الوقوع في حالةٍ من الارتباك عند مصادفة سلسلة من العلامات الصوتية المتميزة التي توضع فوق الحرف أو تحته. فقد أتبعنا الكلمات الإنكليزية القديمة المأخوذة من التوراة بوضع حرف S أو Š أو T أو H بأحرف S أو Sh أو T وفي معظم الأحوال H بالتوالي.. وفي حذف الوقفة الصادرة من الحلق (الوقفة المزمارية) عدا المواضع التي يؤدي حذفها إلى لفظ خاطئ.

ولقد قبلت بعض الهفوات عند ترجمة حرف h إلى حرف ع وليس هـ) هي أسماء مثل Arrapha تُلَفَّظ أرابخا. ولكن حيث ترك اسم العلم أي شك بالنسبة للترجمة فإن الشكل الصحيح يعطى بشكل مربع بين قوسين في فهرست أسماء العلم حسب الشكل المستخدم في النص.

إن ترجماتي هذه ما هي إلا نتيجة قراءتي للنصوص الأصلية ونقلها إلى اللغة الإنكليزية. وأمل أن تكون متفقة مع الاستعمالات الاصطلاحية، ولكن قد أهملت الكلمات أو الحقائق المعادة التي لا شك في لفظها. وإن وجدت أقواس مستديرة حول الترجمة فهذا يدل أن هذه الكلمات قد استعملت ولكنها ليست ممثلة في الأصل بينما إذا استعملت الأقواس المربعة فهي تحتوي على ملاحظات تفسيرية. وأما علامات الاستفهام الموضوعة بين قوسين فهي تدل على وجود عنصر من عناصر الشك بالنسبة لترجمة الكلمات الموجودة.

أما المقتطفات التوراتية فقد أخذت من النسخة المنقحة مع أنه وفي بعض الحالات حيث أهمل المراجعون من زمن الملكة فكتوريا بشكل عشوائي المصطلحات الإنكليزية للنسخة المنقحة دون إيراد أية معالجة دقيقة. عندها فإن الترجمة القديمة هي التي اتبعت.

هاري ساغر